الإسلام هو الأساس الشرعي للحكم في أي بلد إسلامي

الشيخ محمد الغزالي

خلال القرن الماضى كان العالم الاسلامى قد انتشر عقده ، وركدت ريحه ، واعتقد خصومه أنهم أمام تركة ليس لها صاحب، وما عليهم الا أن يمدوا أيديهم ليأخذوا ما شاءوا .

والحق أن أمتنا كانت تعانى من أوضاع شائنة ، بل ان أحوالها الثقافية والسياسية والحضارية بلغت الحضيض ، وفاحت روائح العفن من انظمة ولت عنها الحياة ، وتخلت عنها عناية الله ...

أما فى الجانب الآخر من الارض فقد تغيرت الدنيا تغيرا حاسما وأخذت الدول والشعوب طريقها صعدا الى القمة ، ووقع فى العالم « المسيحى » ما يستحق التسجيل ...

قديما أمر البابا بوقف الامبراطور أمام بابه ثلاثة أيام ذليلا صاغرا لم يأذن له بالدخول الا بعد الاستسلام المطلق ، لكن اختلاف الليل والنهار قلب الصفحة عن صورة جديدة ، فاذا الانظمة المدنية تعلو وتزدهر ! وتقلص سلطان الباباوات ، وانتصر العلم على الدين ـ أعنى المسيحية ـ وقامت فلسفات أخرى لها طابعها المادى وتفوقها الصناعى ، وجاء دور آباء

الكنيسة ليقفوا أمام باب الامبراطور في شارته الحديثة ، وكان الامبراطور المنتصر واسع الذكاء ، فلم يفكر في الثأر مما وقع له قديما ، بل قرر الاستعانة برجال الدين في خدمة أغراضه ، وتحقيق مآربه !..

واذا الكل يتكاتفون على مواجهة العالم الاسلامي ، ويسارعون الى وضع اليد على الكيان الذى أضناه الاعتلال والاختلال !..

لم تحمل هذه الغارة الجديدة عنوانها القديم « الحروب الصليبية » وان كانت استئنافا لها ، واندفاعا في طريقها ، بل آثرت عناوين أخرى ، وانتهجت أساليب أذكى .

والسبب ظاهر ، فان السلطة في أقطار الغرب كانت في أيدى رجال العلم والصناعة والتقدم المدنى العام ، أما الدين ورجاله فقد كانوا أدوات تعمل في خدمة الاستعمار الحديث .

ان الفريقين جمعهما هدف مشترك ، لقد أمسى ما لله وما لقيصر شيئا واحدا ، هو القضاء على الاسلام وأمته ، والظروف التي تحيط بالمسلمين تساعد كلها على ادراك هذه الغاية .

فرقة مزقت كل شيء ، وشهوات أذهبت العقول !!

وبعد الحرب العالمية الاولى سقطت الخلافة القائمة في « استانبول » ومن قبل ذلك ومن بعد ذلك كانت الدويلات الاسلامية تقع في يد الاستعمار العالمي بشقيه الصليبي والشيوعي حتى جاء حين من الدهر لم يبق في العالم الاسلامي كله شعب حر الا ما زهد الاستعمار في احتوائه لقلة غنائه ...

وتنفست الضغائن الاولى بعد هذا الغلب القاهر ، وشرع الفاتحون يعملون بتؤدة وثبات كي يمحوا معالم الاسلام في

المدرسة والمحكمة والبيت والنادى والقرية والمدينة وميادين الجد وميادين اللهو حتى كاد الاسلام يمسى أثرا بعد عين ...

وتنوعت الوسائل بين الرغبة والرهبة فقد تفتح الكنوز لبعض الخونة ، وقد يساق الموت سوقا الى بعض الباقين على عقائدهم ...

وكثيرا ما وقعت بين الشعوب مجازر هائلة وراء أسوار من الصمت المطبق !

ان ضم جزيرة « زنجبار » الى تنجانيقا لتكوين ما سمى بعد « تنزانيا » جرف في طريقه نحو ثلاثين ألف جثة من المسلمين الذين لم يبكهم أحد !..

ومما يستحق الدراسة أن « نيريرى » بطل هذه القصة استقبل بعد ذلك فى القاهرة استقبال الظافرين ، واحتفى به جمال عبد الناصر احتفاء كبيرا ...

وعاد « نيريرى » ليسقط حكم عيدى أمين فى أوغندا ، ويقيم حكما يبيد فيه المسلمين دون رحمة ، وذلك كله دون أن ينبس أحد بكلمة !..

ومآسى الامة المهزومة فى المشارق والمغارب لا تحصى ! ومع فداحة المغارم فقد أبى ورثة الاسلام ورجال العقيدة أن يهنوا أو يستكينوا ، واشتعلت نار المقاومة ، وبقى الرجال الثابتون على الحق يتنادون في كل مكان بالثبات حتى تكونت لهم جبهة صلبة ، وأخذوا يستعيدون أجزاء من خسائرهم ويتحركون نحو غد أفضل ...

وبدا التفكير الجاد فيما وقع ، لم وقع ؟ ما سر تخلفنا ؟ كيف تأخرنا وكنا متقدمين ؟ لماذا سبق غيرنا وما سر صعوده ؟؟ ما هى عللنا الداخلية بدقة ومصارحة ؟؟

وكان بعض المذهولين منـــا يتصور أن الاستعمار يتحـرك بشهوات مجردة ، وأن البغى من شيم النفوس ! ثم كان قيـــام اسرائيل على الايمان اليهودى ، واحتضان الاستعمار لها بدوافع صليبية ، كان ذلك كاشفا عـن سرائر القوم ، وممزقا الغشاوة عن عيون العميان ، وتبين أن محو الاسلام هدف مقرر ، وخطة مبيتـة .

وقد صارحت بعض الكنائس بذلك ووقتت له أجلا معلوما ، وسكتت أخرى تاركة للوقائع أن تتكلم ، ان لم يكن اليوم فغدا ..

والشعوب الاسلامية تتميز مـن الغيظ ، ومواقـف الحكومات تحتاج الى تبين ومساءلة !

لكنا نريد قبل تحديد هذه المواقف أن نلخص الاهداف التى رسمها الاستعمار ضدنا ..

مـن قرون وضع الاستعمار هذه الخطـط لتقطيع أوصـال الاسلام وأمتـه ...

أ ـ تقسيم المسلمين الى شعوب شتى ، ينتمى كل منها الى أرضه وجنسه ، ويكون ولاؤه لقوميته الجديدة وتنتهى الاخـوة الاسلامية الجامعة ، ويحيا كل قبيل داخل الحدود السياسية التى رسمت لـه ، ويشتغل بتاريخه ومصالحه عـن تاريخ الاسـلام ورسالاته العليا ، ويحل نداء أيها المواطنون مكان النداء القديم أيها المسلمون ...

ب ـ الدويلات التى انشئت فى أرض الاسلام تمنع طوعا أو كرها مـن تطبيق شرائعه كلها ، وينفذ ذلك فورا فى جميع المجالات وترجأ الى حـين شرائع الاسرة حتى تلحق بمثيلاتها فى الوقت المناسب .

ج ـ توضع مناهج التربية والتعليم تحت رقابـة دقيقـة حتى يتم انشاء أجيال لا تكترث للعبادات الفردية أو الاجتماعية

ولا لمعالم الحلال والحرام ، وكما تؤثر تاريخها القومى على التاريخ الاسلامى تؤثر أى لغة أجنبية على لغة القرآن الكريم ...

د ـ نقل الاخلاق والتقاليد والافكار والفنون الاجنبية وغرسها فى التربة الاسلامية وتهيئة المناخ لها كى تنمو وتزدهر وتغلب مثيلاتها الاسلامية .

هـ ـ سحق الاقليات الاسلامية حيث كانت ، واهالة التراب عليها ، وتدليل الاقليات الاخرى وتضخيمها ماديا وأدبيا حتى تكون نزيفا دائما فى الكيان الاسلامى ...

ولكى يتم تنفيذ هذه المخططات اتفق الاوربيون والامريكيون واصطلحت مذاهب كانت متباغضة ، بل تعاونت ملل ونحل ما كان فى الحسبان أن تتعاون ...

وليست هذه هى المفاجأة ، بل المفاجأة المذهلة أن ناسا من جلدتنا ، يحيون بين ظهرانينا ، ويتكلمون بألسنتنا ، قالوا لرجال الاستعمار : استريحوا أنتم وسنحمل عنكم هذا العبء ! سنتبنى هذه الاهداف ، وندعو اليها كلا أو جزءا ، فاذا وقعت أزمة الحكم بين أصابعنا سخرنا كل شىء لبلوغها جميعا !!.

وهكذا قامت فى دار الاسلام سلطات ناقمة عليه بعيدة عنه ، حولها جماهير سائمة أو نائمة تقاد الى مصارعها فى استسلام وخزى ...

وتمتاز هذه السلطات بأنها أجرأ على دين الله من الكافرين به ، أعنى من الاجانب الذين توارثوا الانكار عليه من أجيال وأجيال ...

ومع أن فتكات المستعمرين الاولين كانت ضارية الا أن فتكات سماسرتهم هؤلاء أضرى وأقسى .

ومع ذلك فهم منا ، برغم أنوفنا !!.

الحق ان الاستعمارين السياسى والثقافى صدعا بناء الاسلام ، وأوقعا به زلزالا مدمرا .

ولما كان الاسلام موضوع الامة الاسلامية وشكلها طول تاريخها فان الفراغ الناشىء من تقلصه لم يفلح فى سده شىء ! ومن هنا لم تفقد الامة رسالتها الدينية وحسب بل فقدت كذلك خصائص انسانية رفيعة !

وتميزت الادارة فى العالم الاسلامى بهذه العيوب :

أ ــ قلما يوجد فى منصب كبير رجل يناسبه ، ان أوصافا مادية ونفسية معينة هى التى تجعل أقزاما يحركون الجماهير ويمثلونهم محليا وعالميا .

ويغلب أن يظفر أصحاب الشهوات المنتصرة بهذه القيادات ، أما المبدأ الاسلامى « نحن لا نولى أمرنا من يطلبه أو يحرص عليه » فقد تلاشى واختفى ، وتولى الامور من يشبع بها تهمته ويدعم بها سطوته ...

ب ــ فشت الرشوة ، وضروب الاستغلال الآثم ، وأمسى التطلع الى زيادات فوق الرواتب المقررة خلقا عاما !

ج ــ كثرت الوظائف ، وصار لجهازها ضجيج هائل ، وقل نتاجها حتى ضعفت الثقة بنا فى كل ميدان ، وصار العمل الحكومى مضرب المثل فى الاسترخاء والفوضى ...

د ــ مع كثرة العوائق الموضوعة عمدا أمام تيار العقيدة الدينية تبخرت الفضائل ، وولدت حركات الاصلاح ميتة ، ولم ينجح انقلاب ثورى فى تحقيق خير بل يجزم أولو الالباب بأن ملكيات بالية تلتصق بالاسلام على نحو ما كانت أبرك على الشعوب من الانظمة الحديثة المجافية للدين ، المخاصمة لمثله ...

على أن من الانصاف القول بأن الحكومات والشعوب الاسلامية ليست سواء فى هذا البلاء وأن رجالا كثيرين لهم شرف نفس وفضل ايمان لم يخنهم شرفهم ولا ايمانهم فى أزمات محرجة .

فهناك زعماء قوميون قبلوا « القومية » أمرا واقعا ، الا أنهم قرنوها بالاسلام ، وأبوا أن تتحرك بعيدة عن الدين ، واحترموا اللغة العربية وجعلوها أساس التعليم والاعلام .

وفى أماكن كثيرة وجد من يحرص على صلاته وصيامه ، ويحامى عن شعائر دينه ويغضب لما يمسها ، ووجد كذلك من يحتقر الخمر والتهتك ، ويأبى قبول السكارى والزناة ويرفض التعامل معهم .

نعم ، ان بقايا الاسلام فى نفوس شريفة محافظة ظلت متقدة فى هذا الظلام ، وحرصت فى أماكنها أن تسدى للناس الخير ، وأن تمهد للاسلام بين الاجيال المقبلة ، بيد أن الاسلام ليس نزعة خاصة لدى فرد أو أفراد ، ومؤمن آل فرعون لا يضفى صفة الايمان على حكم الفراعنة ...

ان للحكم الاسلامى معالم لابد من توفرها ، نذكر منها ما يلى :

أ ـ فلسفة هذا الحكم ـ فى مقابلة أسس الحكم الاخرى ـ الايمان بالله ولقائه ، وذكره بأسمائه الحسنى ، واعلاء كلمته فى كل ساحة ...

ب ـ اقامة السلوكين الخاص والعام على الربانية والطاعة والتقوى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر واقام الصلاة وايتاء الزكاة ... الخ

ج ـ سحق الجبروت السياسى واستقذار شهوة الاستعلاء والتحكم وبناء الدولة على الشورى وشتى الحريات .

د ــ احترام المال العام ومطاردة غاصبيه ومراقبة سيره فى أرجاء المجتمع ضمانا لعدل اجتماعى شامل ...

هـ ــ تنشئة الاجيال على الاخلاق والقيم الاسلامية ، وربطها بالكتاب والسنة والتراث وباللغة العربية وآدابها ، وبالتاريخ الاسلامى كله .

وتهيئة كل أسباب التمكين فى الارض ، ومواكبة المسلمين لغيرهم من الامم ، بل التفوق عليهم فى كل ما يصون رسالة الامة ويدعم مكانتها المادية والحضارية .

ان المعالم التى تعرف لامتنا ليست من نسج الخيال ، فهى من الناحية النظرية مقررة فى أصول ديننا التى تأذن الله بحفظها الى آخر الدهر ، وهى من الناحية العملية حصيلة تاريخ طويل ، تميزت به دولة الاسلام خلال ألف عام ...

ولما كنا نؤرخ لبشر لا لملائكة فانا نذكر ــ دون خجل ــ ان هذه المعالم تأرجحت نسبتها بين عصر وعصر ، وان هناك حكاما فرطوا ، وآخرين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .

وتبع ذلك ان الامة تعرضت للهزيمة والنصر والانهيار والازدهار !

واذا كان قدرنا نحن المسلمين المعاصرين اننا ولدنا فى أيام عجاف فان ذلك يفرض علينا واجبات معينة ويحدد طريق الكفاح الذى كتب علينا ...

وحكام المسلمين فى هذه السنين فريقان : فريق وفى لدينه يعرف واجبه ، ويجعل سياسته مراحل متصلة لتحقيق هذا الواجب !

وعلينا أن نحترم هذا الفريق ونعاونه حتى يبلغ غايته .

وثم فريق آخـر ، نسى أو تناسى ماضينا وحاضرنا ، ودينننا وتاريخنا ، أهمته نفسه ومآربه فهو لا يحس ما وراءهما وهـو يبغى البقاء فى سلطانه عـلى أى نحـو ، وهو لا يدرى ما الكتاب ولا الايمان ! كل ما يعرفه ان يلتحق باحدى الجبهتين الحاكمتين للعالم ، الشيوعية أو الصليبية !

وهـو يحسب انـه بذلك يعيش عصره ! ويفر مـن التخلف القديـم ...

هذا الفريق صنفان ، صنف جاهل بالاسلام ، وان ولد عـلى أرضه ، وربما لو عرفه معرفة سليمة أخلص لـه وحكم بـه ، والغريب انه يعرف غيره ويواليه ...

وجهالته بالاسلام تباعده عنـه ، ولكنـه كالمصابين بالجنـون الهادىء ، أذاهم بعيد حتى يستثاروا !..

ومن هؤلاء من هو نظيف اليد غيور على المصلحة العامة كمـا يتصورها ، ويوجد فى العالم الاسلامى وطنيون مخلصون لبلادهم وأهليهم على هذا النحو الضيق ...

أما الصنف الآخر فهو جاحد للاسلام ، ناقم على أصوله وفروعه ضائق بالداعين اليه ، كاره للصلاة والعفاف ! « ان تحمل عليـه يلهث أو تتركه يلهث » .

وهذا الصنف المسعور امتداد داخلى للاستعمار الخارجى ، وهو شاء أو لم يشأ منفذ بالغ السوء لاهداف الصهيونية أو الصليبية وان زعم انه يخدم العروبة ، ويجدد حياتها ... الواقع انه صانع أكفانها وهادم كيانها ...

ان العالم الاسلامى بين المحيطين مبتلى بهذه الصنوف كلها .. وعلى دعاة الاسلام وحماته ألا يروعهم ذلك ، فقديما كان لدعوة

التوحيد خصوم من هذا القبيل . قال الله في وصفهم : « واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون » .

واذا كنا لا نستغرب وجود هؤلاء في القديم والحديث ، فاننا نستغرب اظهار هؤلاء للاسلام ، ومكرهم بأمته ، وانخداع الغافلين بهم ، حتى أوقعوا الدواهي بيومه وغده !..

ان تجريد القومية من الاسلام ارتداد عن دين الله ، يستوى في ذلك أن تكون القومية عربية أو غير عربية !..

وتجريد محمد من النبوة كفر به وبما نزل عليه سواء اعتبر بعد ذلك من العباقرة أو من العامة !

ومحو الصبغة الاسلامية عن التاريخ الاسلامي ليكون ثورة عربية بحتة هو أخبث وأحط تزوير عرف في تاريخ العالم ، وهو لا يعدو أن يكون تمهيدا لجاهلية حديثة أسوأ من الجاهلية الاولى ...

اننا بالاسلام وحده ولدنا عالميا ، ومهما ابتغينا العز في غيره أذلنا الله !!

وصلني بعد مدة خطاب أحد القادة العرب في المؤتمر القطري السابع لحزب البعث العربي الاشتراكي ، وكنت وأنا أطالع صفحاته الاولى أفكر في النجاح الثقافي والاجتماعي الذي حققه بنو اسرائيل على أرضنا ، وكيف استطاعوا تذويب الاوطان والاجناس الاولى للوافدين ، وصهروا ذلك كله في بوتقة العقيدة اليهودية المرتكزة على العهد القديم والتلمود !

لقد تعانق اليهود الروس والامريكان ، وتعاون الشماليون والجنوبيون ، وانضم الهمل من يهود الحبشة الى زملائهم القادمين

من لندن وباريس ! وقرر الجميع تحت رايـــة الدين العتيق أن يسيروا بعزم الى مستقبل صنعته آيات التوراة ، وأيدته الصليبية الحديثـــة !

فى هذا الجو من الايمان الدينى المحموم رأيت الرجل يتجاهل الاسلام تجاهلا صارخا ، ويسلبه فضائله كلها ليضفيها على الجنس العربى والـــدم العربى فيقول : « اننا عندما جئنا من الجزيرة العربية كنا نحمل الهمة العالية والرأى السديد والتصور الواعى والقلب الشجاع ، وكنـــا مع هذا وقبلـــه نحمل معنـــا العصبية للعروبة ! والحلم بالقومية ! والدعوة للاصالة العربية (!) » .

هذا ما يقوله قائد عربى مرموق ، أما ما يقوله التاريخ فهو ان العرب خرجوا من جزيرتهم يحملون الاسلام ديـــنا ودولـــة ، وعقيدة وشريعة ! ولم يسمع أحد من خليفة راشد أو غير راشد شيئا عـــن القومية العربية ... ولولا الاســـلام لبقى العرب فى أرضهم قبائل وثنية هابطة لا تساوى فى دنيا الناس شيئا ...

ويقول الدكتور عمر دولـــة الرومان التى هـــزمها المسلمون باسم الله وحده « انها كانت بالضرورة وبجدلية التاريخ تنتظر قدرها المحتوم على يدى أمة شابة برجالها وبروحها » !!

وأولو الالباب يعرفون أن العرب فى جاهليتهم كانوا أقـــل وأذل من أن يناوشوا عبيد الرومان ، ولو قادهم ملاعب الاسنة وعنترة بن شداد !! ايـــة جدلية تاريخية يتحدث عنها الخطيب التائه ؟ ولماذا يراد اخفاء دور الاسلام فى هذا المجال وهو وحده صانع المعجزة ؟

ثـــم يورد الدكتور حقائق عـــن انجازات اليهود فى بلادنا ، وكيف غيروا الارض والمعالم والاسماء فيقول : « الخطر القادم يزحف مغيرا المعالم والاسماء والصفات ، وكل ما يغتصبه العدو

يهضمه على عجل . ويلقى عليه طابعه . فغـزة والضفة الغربية لنهر الاردن اسمهما يهوذا والسامرة ! بئر السبع اسمها بئـر شيفع . القدس اسمها اورشليم . حتى البقرة الشامية المعروفة تصور للعالم على أنها بقرة اسرائيلية » ...

وهذا الذى يذكره الخطيب البعثى صحيح ! لكن لماذا ينسى اثر العقيدة اليهودية البـارز وراء هـذه الانجازات ؟ ان العقيـدة الدينية الهاجمة لا تردها الا عقيدة دينية مدافعة .

وطمس الاسلام في هذه المعركة يعنى تجريد العرب من كـل شيء ، ما قيمة جسم فقد روحه ؟ ما قيمة طائرة فقدت وقودها ؟ لذلك لا نجد جوابا لاسئلته بعد ذلك وهو يخاطب العرب بعثيين أو قوميـين ، ماذا أعددتـم لمملكـة يهـوذا الراكبة عـلى ظهـر « الامبريالية » العالمية ؟ ماذا أعددتم محليا وعربيا وعالميا ؟

اننا نؤكد أن الحكومات العربية يـوم تقرر اطراح الاسلام والارتداد عـن مناهجه فلن تغلبها اسرائيل فقط ، بل ستغلبها الهوام والحشرات !!.

وفي غليان حماسى لترك الاسلام والاجهاز عليه يقول ذلـك الزعيم العربى « ان لنا نظريتنا التى نعتصم بها ونتعصب لهـا وسننتصر بهـا » ! ليكـن الولاء أولا وأخيرا للحزب ، للقومية العربية !! لتسقط الآن والى الابد كل الولاءات الاخرى الهجينة والدخيلة والمتقوقعة !

لقد انتصرت ألمانيا بتعصبها للعقل الالمانى والانسان الالمانى والشعب الالمانى ، برغم كل الويلات التى أصابتها مـن أعظـم الشعوب الغربية حضارة !

ثم يقول أيها الرفاق : « ستالين أنهى عشرة ملايين انسان فى سبيل الثورة الشيوعية . واضعا فى حسابه أمرا واحـدا هـو

التعصب للحزب ونظرية الحزب ! ولـو ان لينين كان فى موقـع وزمان ستالين لفعل مثله ! فالامم التى تريد أن تعيش وتبـــقى تحتاج الى رجل متعصب ، والى حزب ونظرية متعصبة !

« ماوتسى تونج » قاد الصين نحو الخلاص والخلود متمســكا بشعار واحد هو الحزب المتعصب ، انه لم يحرك الصين كما يتوهم البعض ، انه « صين » الماركسية أو عبر بماركسية جديدة مــن صنع الصين ، الى الجانب الآخر ليلاقى بها العــالم ويكسب مــن خلالها الاحترام والهيبة » ...

والمفروض بداهة أن يحتذى البعث الاشتراكى العربى بهذه النماذج التى ساقها الزعيم السابق ، لينقل العرب الى عالم جديد مبتوت الصلة بالاسلام وتاريخه ووصاياه وتعاليمه ، ولترتخص فى سبيل ذلك الالوف مــن القتلى والهلكى ، فالثمن سهــل مهما فدح اذا كان سيحقق الاشتراكية والالحاد باسم العروبة !!

ان للاسلام ماضيا طويلا مشحونا بالآلام ، بيد أن ما يواجهه اليوم من بعض الحاكمين فى أمته لا نظير له ، انه انسلاخ وقــاح عن عقائده ، وكفر صراح بكل ما جاء به ...

وفى أماكن شتى من دار الاسلام نجد هذا التبجح فى الخروج عليه ، والتنكر لاوامره ، ولا أحسب أعداء الاسلام يطلبون غير هـــذا ...

ان دينـــنا يترنح فى هـــذا العصر وهـــو يحمـــل ضغن بعض الطوائف ، وطمـــع بعض العوائـــل ، وقصور بعض الفقهـــاء المتحدثين عنه وهم تائهون !..

من حــق المسلمين أن يختاروا مـــن يمثلهم ومن يترجم عـــن نياتهم وامانيهم ومن يدافع عن حقوقهم وحدودهم ومن يشاركهم أحزانهم وأفراحهم ، أما أن يفرض عليهم حاكمون يرضى عنهم

الشرق أو الغرب ولا يرضى عنهم اللـــه أبدا ، فهذا ما لا يمكن قبـــوله ...

ومن ثم فكل حكم يبعد الاسلام عن دستوره أو يذكر الاسلام ذرا للرماد فى العيون ثم يمضى شاردا عن صراطه بعيدا عن هداه فهو حكم فقد شرعيته ، لانه فاقد لرضوان الله وتأييد الناس ...

ان أضعف نقطة فى العالم الاسلامى هى حكوماته ولا يساويها فى الضعف الا عجز الشعوب عن التغيير المطلوب .

وأجدنى مضطرا الى تكرار الحديث عـن الاسلاميين الذيـن يطول هتافهم للاسلام ولا يقدرون على اسداء يد معقولة لـه !! ان نصف هزائم الاسلام ترجع الى رداءة خططهم وضحالة فقههم وغرورهم بأنفسهم ...

فى تنقلى بين أرجاء العالم الاسلامى سمعت نواح باكين عـلى الاسلام ، فلما استكشفت ما حولهم وجدت عوجا يتطلب التقويم ! قلت لهم : لماذا لا تصلحون هذا ؟.. فلم أتبين اجابة شافية ! انهم سلبيون يثرثرون بالنقد ولا يتحركون للبناء يحسنون مضـــغ قضايا بالية ولا يبصرون ما جد من أحداث ...

وتذكرت بيعـــة العقبة الاولى والاسلام سجين فى مـــكة ، وجبابرتها يبعثرون الفتن بـــين المسلمين ، ان صاحب الرسالة العظمى لم يطلب من المبايعين أكثر مـــن صدق الايمان وحســن العمل وسرعة الانابة الى الله ان وقعوا فى خطأ ، حتى ان بعض كتاب السيرة سماها خطأ بيعة النساء ! كلا ، انها بيعة الرجال ، ولكن الفارق ضخم بـــين العاملين لديـــن والعاملين فى حزب سيـــاسى !!

ان العاملين للـــه يبدءون الطريق من اصـــلاح أنفسهم وما حولهم ، فاذا أصبح الاصلاح ملكة فيهم وسجية لا تنفصل مكـــن

اللـه لهم فأصلحوا الارض لانهم لا يستطيعون الا هذا الاصلاح الذى عاشوا به وعاشوا لـه ، أما غيرهم فدورانه حـول نفسه ودنياه وان زعم غير ذلك .

فى هذه الايام وقع حادثان غريبان لهما دلالة بعيدة ووقـع موجع !

فان القائد الصليبى الثائر فى جنـوب السودان طلب مـن الحكومة المركزية فى الخرطوم أن تلغى الشريعة الاسلامية فورا ، وأن تبعد عن الحكم كل اثارة للاسلام !

ونكرر ما قلناه مرارا أن الصليبيين فى جنوب السودان هـم عشر السكان فحسب ! وانهم فى شمال السودان قلة أندر !..

ومع ذلك فان الجراءة على الاسلام وشرائعه بلغت هذا الحـد المزرى ...

اليوم لا شريعة ، وغدا لا عقيدة ، وعفاء على الاسلام كلـه ، وليهنـأ الحاكمون باسم الاسلام أن الدولـة لهـم وأن مناصبها بأيديهم !..

أمـا الحادث الثانى فان « نيجريا » تقدمت بطلب الى المؤتمر الاسلامي كي تكون عضوا فيه ، وتسعة أعشار نيجريا مسلمون ، والعشر الباقي قسمة عادلة بين النصرانية والوثنية ، والطلب المعروض طبيعى لا غرابة فيـه ! غير أن الناس فوجئوا بصخب واعتراض من اتباع الكنيسة وتعالت الصيحات ألا تنضم نيجيريا الى المؤتمر حفاظا على قوميتها (!) والموقف الآن مائع ، ولا يدرى أينضم القطر المسلم الى سائر الاقطار الاسلامية أم يقيده الخور فيبقى فى عزلته ؟

قال لى صديق : انك تعرف أن النماذج التى قدمت للحكم الاسلامى رديئة ، وانها أساءت لشريعة الله ، وانها كانت ستارا لاهواء فردية مقبوحة .

قلت : ليكن الحاكم الذى نفذ بعض شرائع الاسلام فى خباثة الحاكم السابق للفلبين الذى خرج مطرودا من بلاده ، بعدما استولى على « مليارات » من الدولارات أذلك اعتبر ذريعة لان تترك الفلبين دينها ؟ وهل نادى أحد بذلك ؟

ان الجراءة على الاسلام وحده هى التى أنطلقت بعض الاقليات الدينية باعتراض الشريعة ورفض تطبيقها .

ثم أليس مما يثير الضحك أن يكون الانتماء الافريقى أحظى لدى البعض من الانتماء الى الاسلام ؟ ولم لا ؟ ان القومية الافريقية قدمت للعلم والفلسفة والحضارة أيادى بيضاء لم يقدم الاسلام مثلها ، ومن هنا حق للمسلمين أن يخجلوا من دينهم وان يؤثروا الانتماء الافريقى على الانتماء الاسلامى ! ومن أجل ذلك غضب الصليبيون لاتجاه نيجريا الى المؤتمر الاسلامى تشترك فى عضويته مع أمثالها ! واذا لم تستح فاصنع ما شئت .

ان الحملات على الاسلام تنمو وتضرى ورجالها يحسبون الفرصة سانحة للقضاء على ديننا واجتثاث جذوره ، والدول الكبيرة التى كانت قديما تتظاهر بالحياد فى قضايا الاديان شرعت الآن تعلن تبرمها بالاسلام وصحوته وشريعته والانتساب اليه ..

وبلوغ العدوان على الاسلام هذه المرحلة يضاعف العبء على الحاكمين باسمه أو لعله يواجههم بواجباتهم التى لا مهرب منها .

ونحن نصارح بأمور محددة : ان طاعة أبناء الاديان الاخرى فى اطراح الاسلام كلا أو بعضا هو ارتداد لا ريب فيه ، كما أن

ترجيح الولاء العربى أو الافريقى على الانتماء الاسلامى ، وادارة ظهورنا لاخوان العقيدة كفر لا مراء فيه ...

واذا كان هناك من يرفع شعار الحكم بما أنزل الله قناعا لسرقة الشعوب أو قهرها فان الاسلام برىء منه « **يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون** » .

والاسلام قبل أن يكون حفنة من الحدود والعقوبات المقررة دين ينشىء الامم على الايمان والعدالة والحقوق المصونة والامانات المرعية ...

اننا عندما نفرد الله بالعبودية تغلق الطرق كلها أمام أى مستبد يريد أن يستعبد الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ، وأمام أى مصاب بجنون العظمة يريد اكراه الناس على قبوله رئيسا ، وهم عنه راغبون !

وظاهر أن الامم الاسلامية تبتغى من أعماق القلوب أن تساس بشريعتها ! وان الذين يلوون زمامها كرها هم أعداء الشعوب ، هم أعداء الجماهير !

أى أنهم بالمنطق السياسى المعاصر لا يمثلون أممهم وهم قبل ذلك وبعده ليسوا من الله فى شىء .

